

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### رُوحَانِيَّاتُ الصِّيَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، مَنْ عَلَيْنَا بِرَمَضَانَ؛ شَهْرِ الرَّحْمَةِ وَالذِّكْرِ وَالْغُفْرَانِ،  
وَشَهْرِ الصَّبْرِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ  
رَمَضَانَ مِضْمَارًا لِاسْتِثْبَاقِ الْخَيْرَاتِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ وَتَقْيُؤِ الرَّحِمَاتِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ  
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، إِمَامَ الْهُدَاةِ وَسَيِّدُ التَّقَاةِ، الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ الْأَوَّابِ،  
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالنُّهَى، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِالتَّزَوُّدِ مِنْ مَدْرَسَةِ الصِّيَامِ زَادَ التَّقْوَى، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ ثِمَارِهِ،  
وَأَفْصَى عَوَائِدِهِ، وَلِذَلِكَ فَرَضَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى مَنْ قَبْلَنَا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ  
عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وَعَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ  
اللَّهُ - أَنَّ الصِّيَامَ عِبَادَةٌ جَلِيلَةٌ، اخْتَصَّ الْمَوْلَى مُكَافَأَةً عِبَادِهِ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ هُوَ  
مُنْتَهَى الْأَجْرِ الْجَزِيلِ، وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ، جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((كُلُّ حَسَنَةٍ بَعِثَرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ  
إِلَّا الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّمَا يَذُرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي))، فَالصَّوْمُ  
عِبَادَةٌ خَالِصَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ لِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ مِنْ مَزِيدِ فَضْلِ،  
فَأَعْمَالُ الْخَيْرِ يَتَضَاعَفُ جَزَاؤُهَا إِلَّا الصَّوْمَ فَلَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ مَحْدُودٌ، وَمَثُوبَتُهُ لَا  
يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَذَلِكَ لِأُمُورٍ عِدَّةٍ مِنْهَا: أَنَّ الصَّوْمَ لَا يَقَعُ فِيهِ الرِّيَاءُ كَمَا يَقَعُ  
فِي غَيْرِهِ، فَأَكْثَرُ الْأَعْمَالِ تَكُونُ بِالْحَرَكَاتِ بِخِلَافِ الصِّيَامِ فَإِنَّمَا يَكُونُ بِالنِّيَّةِ الَّتِي  
تَخْفَى عَلَى النَّاسِ وَلَا يَطَّلَعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ، فَالرِّيَاءُ لَا يَدْخُلُ عَلَى الصَّائِمِ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ

مُتَسَاوٍ فِي ذَلِكَ، إِلَّا إِذَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ صَائِمٌ، بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ الْأُخْرَى فَإِنَّ الرِّيَاءَ يَدْخُلُهَا لِمَجْرَدِ فِعْلِهَا، وَلِذَلِكَ كَانَ الصَّوْمُ مِنْ أَحَبِّ الْعِبَادَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَضَافَهُ إِلَيْهِ لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، وَمَا إِضَافَةُ الصِّيَامِ لِلَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا لِأَنَّهُ هُوَ الْمُنفَرِدُ بِعِلْمِ مِقْدَارِ ثَوَابِهِ وَتَضَعِيفِ حَسَنَاتِهِ، فَانظُرْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - لَوْ تَوَلَّى جَزَاءَكَ عَلَى عَمَلٍ قُمْتَ بِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَحَدُ الْكِبْرَاءِ لِأَسْعَدَكَ ذَلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا تَوَلَّى مُكَافَأَتَكَ مَنْ هُوَ أَعْلَى وَأَعْظَمُ؟ لَا شَكَّ أَنَّ الْإِكْرَامَ سَيَكُونُ أَبْلَغَ وَالْجَزَاءُ أَوْفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا شَرَفُ إِكْرَامِ اللَّهِ لَكَفَى فَضْلًا عَنِ الْجَائِزَةِ نَفْسِهَا، فَكُلُّ عَمَلٍ تَعْمَلُهُ تَلْقَى جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ، لَكِنَّ جَزَاءَ الصِّيَامِ يَكُونُ فَرِيدًا مِنْ نَوْعِهِ، فَاللَّهُ سَيَجَازِيكَ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ عَلَى حِدَّةٍ دُونَ سَائِرِ عَمَلِكَ، لَا شَكَّ بِأَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ الْمُنَى وَأَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ، وَإِذَا كَانَ الصَّوْمُ لِلَّهِ فَمَا أَعْظَمَ لِقَاءَ اللَّهِ لِمَنْ أَخْلَصَ صِيَامَهُ وَخَلَّصَهُ مِمَّا يُكَدِّرُهُ، سَاعَتَهَا تَشْتَاقُ النُّفُوسُ لِلِقَاءِ الْمَوْلَى الْوَهَّابِ، الَّذِي يُجْزِلُ ثَوَابَهُ لِلصَّائِمِينَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الصِّيَامَ يُرَبِّي فِي الْمُسْلِمِ تَهْذِيبَ النَّفْسِ وَتَرْبِيَةَ الْغَرِيزَةِ وَإِحْكَامَ الْإِرَادَةِ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ مُنْذَفِعًا وَرَاءَ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ، فَإِذَا مَلَكَ نَفْسُهُ بِالْإِمْتِنَاعِ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لِأَجْلِ الصِّيَامِ، فَهُوَ لِتَرْكِ الْحَرَامِ مِنَ الْفَوَاحِشِ أَمْلَكُ لِنَفْسِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ فِي خَاطِرِهِ شَيْءٌ طَوَّلَ نَهَارِهِ لَيْسَ فِي الْفَضْلِ كَمَنْ عَرَضَ لَهُ ذَلِكَ فَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي تَرْكِهِ، جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))، فَعِنْدَمَا يُعَاشِرُ الصَّائِمُ رَمَضَانَ بِرُوحِهِ يَحْسُ بِعِظَمَةِ الصِّيَامِ وَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَأَرْفَعُ الظَّلَالِ، نَبْعُهُا فَيَاضُ بِكُلِّ خَيْرٍ، تُرْوِي النُّفُوسَ الظَّامَةَ، وَتَسْقِي الْقُلُوبَ الْمُجْدِبَةَ، وَتُحْيِي الْأَرْوَاحَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَالصَّائِمُ لَا يَتَمَالَكُ نَفْسَهُ وَهُوَ يَرَى بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ تُحِيطُ بِجَمِيعِ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، إِلَّا

أَنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَدُومَ هَذَا الْخَيْرُ وَيَسْتَمِرَّ؛ صَلَاةً وَذِكْرًا، قِرَاءَةً وَفِكْرًا، صِيَامًا وَقِيَامًا، بِرًّا بِالْوَالِدَيْنِ، وَصَلَةً لِلْأَرْحَامِ، فَتْرَى النَّاسَ فِي صَفَاءِ رُوحِيٍّ، وَتَلَاحُمٍ وَتَرَاحُمٍ، وَمَحَبَّةٍ وَوَنَامٍ، وَنِظَامٍ فِي أُمُورِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا، وَأَنْسِجَامٍ مَا بَعْدَهُ أَنْسِجَامٌ، مَا أَرُوعَ أَنْ نَرَى الْمَسَاجِدَ تَمْتَلِئُ بِالْمُصَلِّينَ، وَالتَّالِينَ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالدَّاكِرِينَ، وَهُمْ فِي ابْتِعَادٍ عَنِ الْمَوْبِقَاتِ، مُلَازِمِينَ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، مَعَ انْتِظَامٍ فِي الْأَعْمَالِ، وَصِدْقٍ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَصِحَّةٍ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَبْدَانِ، كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ هُوَ قَطْرَةٌ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ مِنْ أَسْرَارِ مَدْرَسَةِ الصِّيَامِ وَقَوَائِدِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

مِنْ رُوحَانِيَّةِ الصِّيَامِ التَّكَاثُلُ الْاجْتِمَاعِيُّ، وَهَذَا مِمَّا يَمْتَازُ بِهِ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ بَيْنَ أَفْرَادِهِ وَأُسْرِهِ، فَهُوَ لِحُمَّةٍ وَاحِدَةٌ يَتَأَلَّمُ بَعْضُهُ بِأَلَامِ بَعْضٍ، وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا وَاسَى غَنِيَهُمْ فَقَبِيرَهُمْ، وَأَعَانَ قَوِيَهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَسَرَّ الصَّوْمِ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَتَجَلَّى - يَا أَخِي - فِي أَنَّهُ يُرِيدُكَ أَنْ تَحْسَبَ بَعْضَ مَرَارَةِ عَيْشِ الْجُوعِ وَالْمَسَاكِينِ وَهُمْ يُكَابِدُونَ لِأَوَاءِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتْكَ شِدَّةُ الْجُوعِ وَالظَّمَا تَذَكَّرْتَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَتَذَكَّرْتَ وَاجِبَكَ تَجَاهَ إِخْوَانِكَ فِي مُجْتَمَعِكَ، رَبَّمَا غَفَلْتَ عَنْهُمْ؛ فَجَاءَ الصِّيَامُ لِيَذَكَّرَكَ بِهِمْ، وَلَقَدْ كَانَ لَنَا فِي فِعْلِهِ ﷺ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِذْ إِنَّهُ كَمَا وَصَفَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - يَكُونُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، فَهُوَ ﷺ كَرِيمٌ مِعْطَاءٌ، يُنْفِقُ إِنْفَاقَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مِنْ رُوحَانِيَّاتِ الصِّيَامِ أَيْضًا تَعَوُّدُ النِّظَامِ فِي الْحَيَاةِ، يَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي تَوْحِيدِ إِمْسَاكِ النَّاسِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَإِفْطَارِهِمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَصِيَامِهِمْ فِي بَدَايَةِ الشَّهْرِ، وَالْإِنْتِهَاءِ بِآخِرِهِ، كُلُّ هَذِهِ خُطُوطٌ عَرِيضَةٌ تُعْطِي الْإِنْسَانَ مَسَاحَةً وَاسِعَةً لِيَسِيرَ فِي حَيَاتِهِ بِنِظَامٍ لَا عَشْوَانِيَّةَ فِيهِ، سَاعَتَهَا تَتَسَقُّ حَيَاتُهُ، وَيُنْجِزُ أَعْمَالَهُ، وَلَا يُفْرِطُ فِي أَيِّ

لَحْظَةً مِنْ لَحْظَاتِ عُمْرِهِ التَّمِينَةِ، فَالصِّيَامُ يَفْرُضُ عَلَى الْجَمِيعِ الْإِنْتِظَامَ وَالْإِحْتِرَامَ، فَالصَّائِمُ يَبْتَعِدُ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَالْغَيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ بَرَكَاتِ رَمَضَانَ، بَلْ إِنَّ الصِّيَامَ يَدْعُو كُلَّ صَاحِبِ مَعْصِيَةٍ أَوْ عَادَةٍ ذَمِيمَةٍ أَوْ إِجْرَامٍ أَوْ انْحِرَافٍ، أَنْ قِفْ عِنْدَ حَدِّكَ فَقَدْ جَاءَ شَهْرُ الصِّيَامِ وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَكْسِرَ عَادَتَكَ الذَّمِيمَةَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُنُّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتْرُكُ مَعْصِيَةَ حُرْمَةِ لِرَمَضَانَ، فَالصَّوْمُ أَفْضَلُ زَمَانٍ لِكِسْرِ الْعَادَاتِ الذَّمِيمَةِ، وَأَفْضَلُ زَمَانٍ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، فَالصِّيَامُ يُسَاعِدُ هُوَ لِأَنَّ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، وَمَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يَتْرُكُوا ذَلِكَ دَائِمًا، فَهُوَ تَرْبِيَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ طَوَالَ شَهْرِ كَامِلٍ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، وَهَذِهِ مُدَّةٌ كَافِيَةٌ لِتَرْبِيَةِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِ أَخْلَاقِهَا، وَتَقْوِيمِ اعْوَجَاجِهَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِذَا جِئْتُمْ إِلَى الصِّيَامِ مِنْ أَيِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ وَجَدْتُمُوهُ غَايَةً فِي الْوَاقِعِيَّةِ وَالْكَمَالِ وَالْبَرَكَاتِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُسَمَّى الرِّيَّانَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ، عَلَى أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ يَعْمَلُهُ الصَّائِمُ هُوَ عِبَادَةٌ يُضَاعَفُهَا اللَّهُ أضعافًا مُضَاعَفَةً، هَذِهِ بَعْضُ نَفَحَاتِ الصِّيَامِ الرُّوحِيَّةِ، وَفِي نَفَحَاتِهِ الصَّحِيَّةِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : ((صُومُوا تَصِحُّوا))، وَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ تَضَمَّنَتَا نِهَايَةَ الْإِيْجَازِ وَالْإِعْجَازِ، فَالصِّيَامُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوَامِلِ لِإِنْهَاءِ أَمْرَاضِ التُّخْمَةِ وَالسُّكَّرِيِّ، فَالْمَعْدَةُ تَأْخُذُ قَسْطًا وَافِرًا مِنَ الرَّاحَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُضْنِيَّةِ طَوَالَ شُهُورِ الْعَامِ، وَعِنْدَ فَقْدِ الطَّعَامِ تَلْجَأُ الْمَعْدَةُ إِلَى امْتِنَاصِ الدُّهُونِ الْمُتْرَاكِمَةِ فِي الشَّرَائِبِ وَالْأُورِدَةِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى انْتِظَامِ تَدْفُقِ الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ وَاتِّسَاقِ نَبْضَاتِ الْقَلْبِ وَالتَّنَفُّسِ الصَّحِيحِ، فَضْلًا عَنِ الْقَضَاءِ عَلَى الْأَبْخِرَةِ وَالْبَلْغَمِ وَالرُّطُوبَةِ الزَّائِدَةِ، فَاسْرَارُ الصَّوْمِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى فِي هَذَا الْجَانِبِ، مِمَّا حَدَا غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصِّيَامِ لِأَجْلِ مَا شَاهَدُوهُ مِنْ مَنَافِعِ الصِّيَامِ لِلْجَسَدِ، وَلَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ عَكَسَ الْأَمْرَ، فَصَامَ بِالنَّهَارِ، وَأَجْهَرَ عَلَى الْمَعْدَةِ لَيْلًا بِكَثْرَةِ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي

ضَاقَتْ عَنْ هَضْمِهَا الْعُصَارَةَ، وَأَرْبَكَتِ الْمَعْدَةَ، وَأَنْهَكَتِ الْجَسَدَ، وَنَسِيَ هَذَا أَنَّ الصِّيَامَ تَزَوُّدٌ رُوْحِيٌّ أَكْثَرَ مِنْهُ جَسَدِيٌّ، وَأَنَّهُ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ تَكُونُ الصِّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَأَدْرِكُوا حَقِيقَةَ الصَّوْمِ وَأَسْرَارَهُ، وَتَعَلَّمُوا آدَابَهُ وَأَحْكَامَهُ، وَحَافِظُوا عَلَى مَكَاسِبِهِ وَرُوحَانِيَّاتِهِ؛ تَتَّالُوا خَيْرًا عَظِيمًا، وَقَضَاءً جَزِيلًا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،  
وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

\*\*\* \*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبْدِيِّ الْمُعِيدِ، سُبْحَانَهُ يَهَبُ عِبَادَهُ مِنْ وَاسِعِ فَضْلِهِ وَعَطَانِهِ وَلَدَيْهِ الْمَزِيدِ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالتَّسْهِيدَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الصَّادِقُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ صَاحِبَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمِيَامِينِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ عَلَى جَمِيعِ الْمَوْسَسَاتِ ذَاتِ الصَّلَةِ بِنَاءَ الْإِنْسَانِ الْحَضَارِيِّ أَنْ تَسْتَغْلِ مِيقَاتَ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ فِي تَفْعِيلِ أَنْشِطَتِهَا الْهَادِفَةِ، سَوَاءً أَكَانَتْ دِينِيَّةً أَمْ تَرْبَوِيَّةً، أَمْ اِقْتِصَادِيَّةً أَمْ اجْتِمَاعِيَّةً، إِذِ الصَّوْمُ فِي حَقِيقَتِهِ يُعَدُّ حَافِزًا لِأَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ خَيْرِيٍّ، وَفِي كُلِّ نَشَاطٍ يَدْفَعُ إِلَى تَحْسِينِ سَائِرِ الْمَجَالَاتِ رُوْحِيَّةً كَانَتْ أَمْ مَادِّيَّةً، وَبِذَلِكَ تَتَّسِعُ دَائِرَةُ الْبِرِّ، فَلَا تُقْصِرُ عَلَى نَشَاطِ الْأَفْرَادِ دُونَ مَوْسَسَاتِ الْمُجْتَمَعِ، فَمِنْ دَوْرَاتِ لِتَعْلِيمِ أَحْكَامِ التَّلَاوَةِ وَحِفْظِ الْقُرْآنِ وَكَيْفِيَّةِ مُمَارَسَةِ أَحْكَامِهِ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ إِلَى دَوْرَاتِ فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وَالْأُسْرَةِ، وَنَظِيرُهَا أَنْشِطَةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ تَرْفَعُ مُسْتَوَى عِلَاقَاتِ الْأَفْرَادِ بِمُجْتَمَعِهِمْ تَنْمِيَّةً وَتَطْوِيرًا، وَعَلَى مَنَوَالِهَا بَرَامِجُ اِقْتِصَادِيَّةٌ يَتِمُّ تَفْعِيلُهَا بِمُشَارَكَةِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، فَرَمَضَانُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ -

مَدْرَسَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ تَجْمَعُ فِي سَاحَتِهَا الرَّحْبَةَ سَائِرَ هَذِهِ الْأَطْيَافِ لِتَحَدِّدَ مَعَالِمَ الْمُجْتَمَعِ دِينِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا، وَتَرْبِيًّا وَاقْتِسَادِيًّا.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ مِمَّا ارْتَبَطَ فِي أَدْهَانِ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ رَمَضَانَ شَهْرُ النَّوْمِ مَعَ الصَّوْمِ، وَالتَّرَاحِي عَنِ الْأَدَاءِ الْمُتَّقَنِ لِلْأَعْمَالِ، وَتَأْخِيرِ الْمَوَاعِيدِ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مُفْرَزَاتِ الصَّوْمِ الصُّورِيِّ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ فِيهِ صَاحِبُهُ إِلَى آثَارِ الصَّوْمِ وَأَبْعَادِهِ وَأَسْرَارِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَإِنَّمَا يَقْتَصِرُ فِيهِ عِنْدَ آدَائِهِ لِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْجَلِيلَةِ عَلَى مُجَرَّدِ تَرْكِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَمِنْ هُنَا شَاعَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْخَاطِئَةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ وَالنَّصَبُ))، فَعَلَى الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُخْلِصَ لِلَّهِ تَعَالَى عَمَلَهُ، لَا سِيَّمَا الصَّوْمَ الَّذِي هُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -، وَأَثُوا عِبَادَاتِكُمْ عَلَى وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ، وَتَأَمَّلُوا حِكْمَةَ مَشْرُوعِيَّتِهَا مِثْلَمَا تَطْلُبُونَ أَحْكَامَهَا، لَا سِيَّمَا عِبَادَةَ الصِّيَامِ الَّتِي تَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَا بِعَوَائِدِ النُّقْوَى، وَيَكْسِبُ بِهَا صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُخْبِرُ عَنْهُمْ الْمَوْلَى تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٢).

هَذَا وَصَلُوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣).

(١) سورة البينة / ٥ .

(٢) سورة يونس / ٦٢-٦٣ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا  
إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ  
عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ  
خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدَعْ فِينَا  
وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا  
زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا،  
يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ  
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.  
اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ  
لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ،  
وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.  
رَبَّنَا لَا تَرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.  
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ  
قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ  
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.